

الدرس 4) من التعليق على تفسير ابن كثير/ تفسير سورة عبس

4)

خالد المصلح

فإذا جاءت الصاقه يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبه وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأنه يغنيه وجوه يومئذ مسفرة. ضاحكة مستبشرة. ووجوه يومئذ إذا غبرة ترهقها قطرة أولئك هم الكفرة الفجرة - [00:00:00](#)

قال ابن عباس الصافة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده قال ابن جرير لعله اسم للنفخة بالصور. وقال البغوي الصاخة يعني صيحة القيامة سميت بذلك لأنها تصف - [00:00:41](#)

اسمع أي تبالغ في اسماعها حتى تكاد تصمها. يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبه وبنيه أن يراهم ويفر منهم ويبتعد عنهم. لأن الهول عظيم والخطب جليل قال مثل ما يلقي الرجل زوجته فيقول لها يا هذه أي بعل كنت لك؟ فتقول نعم البعل كنت - [00:01:01](#)

وتثني بخير ما استطاعت. ويقول لها فاني اطلب فاني اطلب اليك اليوم حسنة واحدة تهينها تهابينها لي لعلني انجو مما ترين. فتقول له ما ايسر ما طلبت. ولكني لا اطيق أن اعطيك شيئاً. اتخوف مثل الذي - [00:01:29](#)

قال وان وان الرجل ليرقبه فيتعلق به فيقول يا بني أي والد كنت لك ويثني بخير فيقول له يا بني اني احتجت الى مثقال ذرة من حسناتك لعلني انجو بها مما ترى - [00:01:50](#)

ويقول ولده يا ابتي ما ايسر ما طلبت ولكني اتخوف مثل الذي تتخوف فلا استطيع أن اعطيك شيئاً يقول الله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبه وبنيه. وفي الحديث الصحيح في امر - [00:02:12](#)

انه اذا طلب الى كل منه للعزم أن يشفع عند الله في الخلائق. يقول نفسي نفسي لا أسأله اليوم الا نفسي حتى أن عيسى ابن مريم يقول لا أسأله اليوم الا نفسي لا أسأله مريم التي ولدتي. ولهذا قال تعالى - [00:02:32](#)

يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبه وبنيه. قال قتادة الاحب فالاحب والاقرب اقرب من هول ذلك اليوم وقوله لكل امرئ منهم يوم يومئذ شأن يغنيه أي هو في شغل شاغل عن غيره - [00:02:52](#)

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد ابن عمار ابن الحارث قال حدثنا الوليد بن صالح قال حدثنا ثابت ابن ابي العبادان عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة - [00:03:13](#)

مشاة غرلا قال فقالت زوجته يا رسول الله او يرى بعضنا عورة بعض؟ قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه او قال ما اشغله عن النظر. وقد رواه النسائي منفرداً به عن ابي داود - [00:03:33](#)

عن عالم عن ثابت ابن زيد وهو ابو زيد او ابو زيد الاحور البصري احد الثقات عن هلال ابن خباب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس به وقد رواه الترمذي عن عبد ابن خبيب عن محمد ابن الفضل عن ثابت ابن ابي يزيد - [00:03:53](#)

عن هلال ابن خباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة ايبصر ايبصر او او يرى بعضنا عورة بعض؟ قال يا فلانة لكل امرئ منكم يومئذ - [00:04:13](#)

شأن يغنيه ثم قال الترمذي وهذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير من غير وجه عن ابن عباس رضي الله عنه وقال اخبرني عمرو بن عثمان قال حدثنا بقية قال حدثنا زبيدي قال اخبرني الزهري عن عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا. فقالت عائشة يا رسول الله فكيف بالعورات فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن

يغنيه انفرد به النسائي من هذا الوجه. ثم قال ابن ابي حاتم ايضا حدثنا ابي - [00:04:55](#)

قال حدثنا ازهر بن حاتم قال حدثنا الفضل ابن ابن موسى عن عائد عن عائد ابن شريح عن انس ابن مالك سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله بابي انت وامي - [00:05:15](#)

اني سائلة اني سائلتك عن حديث فتخبرني انت به؟ قال ان كان عندي منه علم. قالت يا نبي الله كيف يحشر الرجال؟ قال حفاة العراة ثم انتظرت انتظرت ساعة فقالت يا نبي الله كيف يحشر النساء؟ قال - [00:05:35](#)

قال كذلك حفاة عراة قالت واسوءتاه من يوم القيامة واسوء اتاه من يوم القيامة قال وعن اي تسألين انه قد نزل علي اية لا يضرك كان عليك ثياب او لا يكون. نعم. قالت اية - [00:05:55](#)

فكانت اية اية هي يا رسول الله؟ قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه. وقال البغوي في تفسيره اخبرنا محمد بن ابراهيم الشريحي قال اخبرنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي قال اخبرني الحسين ابن عبد الله قال حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن - [00:06:15](#)

قال حدثنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا ابن ابي اويس قال حدثنا ابي عن محمد ابن ابي عياش عن عطاء ابن يسار عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - [00:06:35](#)

يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرب وبلغ شحوم الاذان فقلت يا رسول الله واسوتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيهم هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا وهكذا رواه ابن جرير عن ابي عمار - [00:06:55](#)

الحسين بن حورية المروزي عن الفضل بن موسى به ولكن قال ابو حاتم الرازي عائد بن شريح ضعيف في حديثه ضعف وقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة اي يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة اي - [00:07:22](#)

ضاحكة مستبشرة اي مسرورة فرحة من سرور من سرور قلوبهم تظاهر البشر على وجوههم هؤلاء اهل الجنة. ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قشرة. اي يعلوها ويغشاها قشرة اي سواد قال ابن ابي حاتم قال حدثنا ابي قال حدثنا سهل بن عثمان العسكري قال حدثنا ابو علي محمد مولى جعفر - [00:07:45](#)

مولى جعفر بن محمد عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلجم العرق حتى تقع الغبرة على وجوههم. قال فهو كقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة. وقال ابن - [00:08:15](#)

عباس ترهقها قطرة اي يغشاها سواد الوجوه وقوله اولئك هم الكفرة الفجرة اي الكفرة قلوبهم الفجرة في اعمالهم كما قال تعالى ولا يجدوا الا فاجرا كفارا. هذه الايات التي ختم الله تعالى بها السورة - [00:08:35](#)

هي بيان المعاد الايات المتقدمة ذكر الله تعالى فيها المبدأ والمعاش ثم ختم ذلك بذكر المعاد. المبدأ في قوله جل وعلا فقتل انسان ما اكفر من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره. الى اخره - [00:08:58](#)

ثم ذكر المعاش في قوله فلينظر الانسان الى طعامه وذكر ما يتنعم به من الوان الطعام وما يسره الله تعالى له من ذلك. ثم بعد ذلك ذكر المعاد الذي يسير اليه الناس وينتهون - [00:09:20](#)

فقال جل وعلا فاذا جاءت الصاخة الفاء للترتيب على ما تقدم من احوال الانسان في منشأه ومعاشه وقوله تعالى اذا جاءت الصاخة الصاخة هي الصيحة الثانية التي بها يقوم الناس - [00:09:36](#)

الحساب. اه وهي اسم من اسماء القيامة كالطامة ولذلك قال ابن عباس الصاخة اسم من اسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده اذا الصاخة غير انها النفخة في الصور التي - [00:10:00](#)

يحيا بها الناس وقيل انها القيامة ولا التباعد بين القولين فان الصاخة التي هي الصيحة الثانية التي يقوم بها الناس هي التي تؤذي هي مبدأ يوم القيامة فلذلك من قال انها ان الصاخ اسم من اسماء يوم القيامة بالنظر الى ان بدايته تكون - [00:10:21](#)

بهذا الصوت العظيم الذي يسمعه الناس وسميت صاخة وهو مما يطلق على الصوت المرتفع العالي ولذلك قال يعني صيحة القيامة سميت بذلك لانهما تفتح الاسماع تبلغ في اسماعهم حتى تكاد تسمها - [00:10:47](#)

اي تصيبها بالصمم بعد ان ذكر الله تعالى هذا المجيء فاذا جاءت الصاخة قال يوم يفر المرء من اخيه شرع في ذكر احوال الناس في

ذلك اليوم ذكر حال الانسان مع قراباته لانهم احرصوا الناس على ائصال الخير اليهم - [00:11:12](#)

فبدأ بذكر القربات الذين لهم محل العطف والحلو والصلة والبر قال جل وعلا يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبه وبنيه فذكر الله تعالى حال الانسان مع قراباته ابتداء بالابعد فالابعد ملابسة وقربا - [00:11:42](#)

ابتدأ وحلوا وشفقة فابتدأ بالاخ ثم الام والاب ثم صاحبة فذكر الحواشي وذكر الاصول وذكر الزوجة وما يتفرع عنها وهم الفروع والفرار هو الهرب وقوله يوم يفر المرء من اخيه اي يوم يهرب - [00:12:14](#)

وبعد ان ذكر هذه الحال التي تستفز النفوس كيف يهرب الانسان من اخيه كيف يهرب من امه كيف يهرب من ابيه كيف يهرب من زوجه كيف يهرب من ابنه وهذا ابعد ما يكون من الفرار؟ كيف يهرب من هؤلاء كلهم - [00:12:49](#)

جاء الجواب بقوله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه هذا هو السبب ان الكل مشغول بنفسه فلا يشتغل احد بغيره فله من الشغل ما يكفيه ويذهله عن ان ينظر الى غيره - [00:13:10](#)

وذكر في ذلك جملة من الاحاديث المتعلقة بانذهال الناس عن النظر المألوف الى العورات حال بدوها وظهورها والامر اعظم من هذا واكبر وخطر فلا يتعلق نظر الناس يوم القيامة بغير نجاتهم - [00:13:31](#)

وطريق خلوصهم من هذا الذي هم فيه فلا نظر الى عورات ولا نظر الى اقارب ولا نظر الى شيء من امر الدنيا لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغريه اي يكتفي به ويلتهي به ويشغل به - [00:13:56](#)

عن ان يشتغل بغيره سواء جلبا لنفع او دفعا لضر وذكر حال الانبياء واولي العزم من الرسل وكيف يعتذر كل واحد منهم اشتغالا بنفسه عن ان ينفع غيره الا ما يكون في ختم الامر من النبي صلى الله عليه وسلم عندما يأتيه الناس يطلبونه الشفاعة فيقول انا لها انا لها - [00:14:15](#)

كما في حديث ابي سعيد وانس وغيرهما في وابي هريرة في احاديث الشفاعة العظمى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه بعد ذلك ذكر الله تعالى انقسام الناس في ذلك اليوم الى فريقين - [00:14:43](#)

وجوه يومئذ مثمرة هذا القسم الاول ووجوه يومئذ عليها غبرة هذا هو القسم الثاني من الناس كما قال الله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير فذكر الله تعالى ابتداء فريق الجنة - [00:15:02](#)

بوصف حالهم وذكر الوجوه دون دون بقية الاجزاء لانه موضع ظهور ما في النفوس فانت تقرأ ما في نفس الانسان بالنظر الى وجهه فتقرأ سروره وبهجته من محياه ووجهه وكذلك تقرأ حزنه - [00:15:18](#)

من وجهه ولذلك قال الله تعالى يوم تبيض وجوه وتصد وجوه فما في القلوب يظهر على الوجوه فكان التعبير بالوجه او التعبير عن الوجه لانه محل ظهور الاثر لما في نفوس الناس من سرور - [00:15:42](#)

غيره وحضور وضده. يقول جل وعلا وجوه يومئذ مثمرة ضاحكة مستبشرة فوصفها الله تعالى بثلاثة اوصاف مسفرة ضاحكة مستبشرة وهذه اوصاف تدل على عظيم السرور الذي يكون مع اصحابها الاسفار ضد الظلمة - [00:16:06](#)

والضحك ضد العبوس والاستبشار التشوف والتطلع الى ما هو اعظم والى ما هو اكبر من فضل الله تعالى وعطائه فهي مستبشرة ان ستجد ما وعدها الله تعالى وتذكر ما اخبرت به الرسل من من النعيم المقيم - [00:16:36](#)

هذه اوصاف ثلاثة فهذه ثلاثة اوصاف لهذه الوجوه قال جل وعلا وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة يقابلها القسم الثاني من الناس وجوه ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة عليها غبرة - [00:17:02](#)

دليل على الشقاء و التعاسة التي تنال اولئك ووجوههم عليها غبار من شدة احوال ذلك اليوم وهذا يدل على سوء الحال وفوق ذلك ترهقها فترة اي تغشاها ترهقها بمعنى تغشاها - [00:17:31](#)

والفترة هي الظلمة ذكر مقابل الثلاثة اوصاف التي للقسم الاول وصفين للقسم الثاني ووجوه يومئذ عليها غبرة وبها يزول الاستبشار ويزول الضحك وقوله ترهقها فترة اي تغشاها كما قال الله تعالى كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلماً - [00:18:04](#)

هذه حالهم وهو معنى قوله ترهقها فترة فهي كقطع الليل المظلم البهيم وهو معنى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه بعد

ذلك قال اولئك هم الكفرة الفجرة نص على - [00:18:35](#)

من هم اصحاب هذه الوجوه وطوى ذكر الاوائل لانهم معروفون فهم اهل الطاعة والاحسان هم اهل الايمان والاسلام اما هؤلاء فهم الذين سجل الله تعالى عليهم الوصف ردعا لهؤلاء المعاندين الذين يعادون الذين يعاندون النبي صلى الله عليه وسلم ويستكبرون على قبول دعوته. قال اولئك - [00:18:58](#)

الموصوفون بهذا الوصف هم الكفرة الفجرة كفرة في قلوبهم وفجرة في قلوبهم واعمالهم وقد قال مصنف الكفرة قلوبهم والفجرة في اعمالهم كما قال تعالى ولا يرد الا فاجرا كفارة ويمكن ان يكون ان يكون وصفين لشيء واحد اي انهم اهل كفر في ظاهرهم وباطنهم واهل فجور في ظاهرهم وباطنهم - [00:19:28](#)

فالفجور هو الزيادة في الشيء وما ذكره المصنف هو احد القولين في معنى الاية ان الكفر مما يتعلق بالقلب والفجور مما يتعلق بالعمل ويمكن ان يقال ان الفجور يتعلق بالقلب والعمل كذا الكفر ويتعلق بالقلوب والعمل. ويكون الفجور هو الزيادة في الكفر - [00:20:00](#) والزيادة في اه المعاندة والضلال وبهذا يكون قد انتهى ما ذكره المصنف رحمه الله في سورة في تفسير سورة عبس ولله الحمد والمنة صلى الله وسلم على نبينا محمد - [00:20:27](#)